الكثيرين منهم الا بعد اللجوء الى محكمة العدل العليا .

وتذكر المحامية في فصول كتابهـا انها ليست الوحيدة التي تدافع عن ضحايا الاحتلال في المحاكم فقد سار معها في « طريق العذاب » المحامي علي رافع والمحامي حنا نقاره والمحامي صبري جريس والمحامي غازي كفير وعدد قليل من المحامين في الضفة الغربية . وتذكر لانغر ان سلطات الاحتلال كانت احيانا تمنع المحامين العرب في اسرائيل من دخول الاراضي المحتلة بهدف الدفاع عن موكليهم في المحاكم العسكرية في مناطـق الاحتلال وذلـك بموجب قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥ .

٣ ــ الابادة الجسدية : تتعرض الكاتبة في اكثر من مكان الى حقيقة ان القتل لم يكن مجرد رغبة كامنة في نفوس المحتل وقضاته ، بل انه نفذ كلما سنحت الفرصة لذلك ، فأثنـاء الحرب وبعدها مباشرة « احمرت مياه نهر الاردن » بدماء كل من حاول العودة الى بيته من النازحين الى الضفة الشرقية . وبعد الحرب بأيام « ... جاء الجنود الاسرائيليون الى رفح الشرقية . طرقوا الابواب ، وأخرجوا الرجال وساقوهم الى مسافة أمتار من البيوت . بعد ذلك سمعنا طلقـات الرصاص ، وعندما خرجنـا شاهدنا جثثهـم وهم يرتـدون البيجامات ... » (على لسان مواطنة من رفح — ص ٢٤١) .

وتتعرض الكاتبة الى محاولات ابادة الوجـود السياسي العربي في الاراضي المحتلة . فقد صدرت أحكام جائرة ضد كل من حاول تأسيس « أكثـر التنظيمات براءة » وقمعت المظاهرات بالقوة مهما كانت سلمية . وشوهت مناهج التعليم وغير ذلك.

في نفس الـوقت تصف الكاتبـة كيف مارست سلطات الاحتلال غرس الوجود الصهيوني فـي الاراضي المحتلة . وأكثر ما أثار اشمئزازها صورة المستوطنين اليهود الذين أقاموا في بناية الحكم العسكري في الخليل وأقاموا الحفلات قرب غرف السجن على مرأى ومسمع السجناء العرب ، ولعب أولادهم في ساحة المعتقل ، وكان هؤلاء النواة لما عرف بعد ذلك بمستوطنة « كريات اربع » التي اقيمت على أرض العرب في الخليل . وتسجل الكاتبة ان السلطات الصهيونية أقامت حتى منتصف العام ١٩٧٤ أكثر من ٥٠ مستعمرة يهودية في الضفة الغربية والجولان وغزة وسيناء .

وتسجل الكاتبة أيضا عمليات سلب الاراضي ومصادرتها بالقوة وبكل الحيل والوسـائل في أنحاء الاراضي المحتلة ، وتذكر ان بعض الذين مارسوا سلب اراضي العرب في المثلث والجليل بعد العام ١٩٤٨ نقلوا بعـد عـام ١٩٦٧ الـى أراضـي « الامبراطورية » الجديدة لكي يستخدموا خبرتهم السابقة في سلب الاراضي ومن أمثلة هؤلاء حايم كهيتي الذي يمارس سلب اراضي العرب في منظمة بيت لحم . وهكذا لم تسند المهمات الى رجـال الاحتلال وخدمـه بالصدفة ، بل ان « الرجـل المناسب وضع في المكان المناسب ! » .

وتبرز المحامية مدى تعارض كل أساليب الاحتلال هذه ، مع معاهدات جنيف وقرارات الامم المتحدة ولكن في كل مرة حاولت اقتباس هذه المعاهدات أو القرارات في قاعات المحاكم العسكرية ، منعها القضاة من ذلك وسخروا منها .

مقاومة وصمود

تقول غليتسيا لانغر عن العرب انهم « شعب قوي الشكيمة لا يفهم لغة القوة » وفي فصول الكتاب تقدم صورا عديدة من صـور المقاومة والصمود وتنقل الى القارىء الاسرائيلي عكس الصورة التي حاولت وسائط الاعلام الصهيونية رسمها له عن العرب . الكثيرون من المعتقلين وقفوا في وجـه القضاة بعد ان أصدروا الاحكام الجائرة ضدهم وأنشدوا بصوت واحد : « بلادي ، بلادي ! » ، ولم تنقل الصحف الاسرائيلية هذه الحقيقة الى قرائها ، والكثيرون رفضوا طلب اي استرحام من المحكمة التي أعلنوا عدم اعترافهم بها . المعتقل محمد خليل علي حسـن ، مثلا ، قال لقضاته : « انني لم أحضر اليكم في تل أبيب ، بل أنتم جئتم الي في نابلس فأنا اذن يجب أن أحاكمكم ! » . (ص ٢١٣) .

الصبي صبحي من رام الله ، قال للمحكمة التي حاكمته على سلسلة من الاعمـال الفدائيـة التي نفذها : « لست مذنبا لادافع عن نفسي ، لقد قمت بواجبي المقدس ... » (ص ٨٠) .

ونبيل قبلاني ، الذي طرد من رام الله الى الضفة الشرقية واعتقل بعـد ذلك خلال عملية